الشرك وأنواعه

الباحث / شعبان عبد الهادي محمد

أولًا: الشرك في اللغة:

شرك: الشِّرْكَةُ والشَّرِكة سَوَاءٌ: مُخَالَطَةُ الشَّرِيكَيْنِ. يُقَالُ: اشترَكنا بِمَعْنَى تَشارَكنا، وَقَدِ اشْتَرَكَ الرَّجُلَانِ وتَشارَكا وشارَك أَحدُهما الْآخَرَ؛ فأَما قَوْلُهُ:

أَشْرَك بِاللَّهِ: جَعَلَ لَهُ شَريكاً فِي مُلْكِهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، وَالِاسْمُ الشِّرْكُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ عَبْدِهِ لُقْمَانَ أَنه قَالَ لِابنه: ﴿يا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(١)

والشِّرْكُ: أَن يجعل لِلَّهِ شَرِيكًا فِي رُبوبيته، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ الشُّرَكاء والأَنداد، وإِنما دَخَلَتِ التَّاءُ فِي قَوْلِهِ لَا تُشْرِكْ بِاللَّه لأَن مَعْنَاهُ لَا تَعْدِلْ به غَيْرِهِ فَتَجْعَلَهُ شَرِيكًا لَهُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً﴾(٢)؛ لأَن مَعْنَاهُ عَدَلُوا بِهِ، وَمَنْ عَدَلَ بِهِ شَيْئًا مِنْ خَلقه فَهُوَ كَافِرٌ مُشْرِك، لأَن اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شريكَ لَهُ وَلَا نِدَّ لَهُ وَلَا نَديدَ. وَقَالَ أَبو الْعَبَّاسِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ"(٣)؛ مَعْنَاهُ الَّذِينَ هُمْ صَارُوا مُشْرِكِينَ بِطَاعَتِهِمْ لِلشَّيْطَانِ، وَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنهم آمَنُوا بِاللَّهِ وأَشركوا بِالشَّيْطَانِ، وَلَكِنْ عَبَدُوا اللَّهَ وَعَبَدُوا مَعَهُ الشَّيْطَانَ فَصَارُوا بِذَلِكَ مُشْرِكين.(٤)

وجاء في المصباح المنير: مادة (ش ر ك) : شَرَكْتُهُ فِي الْأَمْرِ أَشْرَكُهُ مِنْ بَابِ تَعِبَ شَرِكًا وَشَرِكَةً وِزَانُ كَلِمٍ وَكَلِمَةٍ بِفَتْحِ الْأَوَّلِ وَكَسْرِ الثَّانِي إذَا صِرْتُ لَهُ شَرِيكًا ، وَجَمْعُ الشَّرِيكِ شُرَكَاءُ وَأَشْرَاك، وَالشِّرْكُ اسْمٌ مِنْ أَشْرَكَ بِاَللَّهِ إذَا كَفَرَ بِهِ(٥).

وجاء في المفردات (شرك) الشِّرْكَةُ والْمُشَارَكَةُ: خلط الملكين، يقال: شَرَكْتُهُ، وشَارَكْتُهُ، وتَشَارَكُوا، واشْتَرَكُوا، وأَشْرَكْتُهُ في كذا. قال تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾(٦).(٧)

ثانيًا: الشرك في الاصطلاح:

قال المراغي –رحمه الله– عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾(٨). العبادة هى الخضوع لسلطة غيبية وراء الأسباب المعروفة يرجى خيرها ويخشى شرها، وهذه السلطة لا تكون لغير الله، فلا يرجى غيره ولا يخشى سواه، فمن اعتقد أن غيره يشركه فيها كان مشركا، وإذا نهى الله عن إشراك غيره معه، فلأن ينهى عن إنكار وجوده وجحد ألوهيته أولى.

وفي هذا التعريف يؤكد الإمام رحمه الله على ان الشرك هو منازعة لله في سلطته.(٩)

وأشار رحمه الله إلى أمر هام وهو عدم مغفرة هذا الذنب واستدل على هذا الرأي بقوله تعالى: "﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾[١٠] ، حيث قال – رحمه الله –: "والحكمة في عدم مغفرة الشرك أن الدين إنما شرع لتزكية النفوس وتطهير الأرواح وترقية العقول، والشرك ينافى كل هذا، لأنه منتهى ما تهبط إليه العقول، ومنه تتولد سائر الرذائل التي تفسد الأفراد والجماعات، فبه يرفعون من دونهم أو من هم مثلهم إلى مرتبة التقديس والخضوع لهم، باعتبار أن السلطة العليا بأيديهم، وأن إرضاءهم وطاعتهم هو إرضاء لله وطاعة له[١١].

ومن المعاني التى أشار إليها – رحمه الله – أن الشرك هو منتهى فساد الأرواح وضلال العقول، فكل خير يلابسه لا يقوى على إضعاف مفاسده وآثامه والعروج بها إلى جوار ربها، إذ أنها تكون موزعة بين شركاء يحولون بينها وبين الخلوص إليه عز وجل، والله لا يقبل إلا ما كان خالصا له[١٢].

ويظهر من خلال عرضنا لتعريف الشرك أنه يقوم على اتخاذ الشريك والند أو النظير أو المثيل مع الله –تعالى– يشاركه الربوبية أو العبادة أو الأسماء والصفات، وفيه تشبيه المخلوق بالخالق –سبحانه وتعالى– في خصائصِه الألوهية مثل: الضر والنفع أو العطاء والمنع والتعلق به بالرجاء والخوف من غضبه وعقابه، فيعبد الشريك كما يعبد الله –تعالى– ويعظم الشريك كما يعظم الله–تعالى– قال –عز وجل– (فَلاتَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[١٣]، وقال –جل شأنه– (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ)[١٤]

فهو الاعتقاد بأن لله شريكًا في ذاته، أو في صفاته، أو في أُلوهيته، أو في عبادته، أو في ملكه. ولذا يكون الشرك ضد التوحيد تمامًا كما أن الكفر ضد الإيمان.

وذكر ابن القيم في تعريفه لمعنى الشرك أنه على نوعان أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ:

فَالْأَكْبَرُ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ مِنْهُ، وَهُوَ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا، يُحِبُّهُ كَمَا يُحِبُّ اللَّهَ، وَهُوَ الشِّرْكُ الَّذِي تَضَمَّنَ تَسْوِيَةَ آلِهَةِ الْمُشْرِكِينَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلِهَذَا قَالُوا لِآلِهَتِهِمْ فِي النَّارِ {تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ٩٨}[١٥] مَعَ إِقْرَارِهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ، وَأَنَّ آلِهَتَهُمْ لَا تَخْلُقُ وَلَا تُرْزَقُ، وَلَا تُحْيِي وَلَا تُمِيتُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ التَّسْوِيَةُ فِي الْمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْعِبَادَةِ.

وَأَمَّا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ كالرِّيَاءِ، وَالتَّصَنُّعِ لِلْخَلْقِ، وَالْحَلِفِ بِغَيْرِ اللَّهِ.

وفي هذا التعريف يتعمق الإمام بن القيم في إبراز معاني الشرك المختلفة بخلاف الإمام المراغي الذي أظهر الشرك بأنه منازعة الإله في سلطانه(١٦).

ويعرف الذهبي الشرك:" أَن يَجْعَل لله نداً ويعبد غَيره من حجر أَو شجر أَو شمس أَو قمر أَو نَبِي أَو شيخ أَو نجم أَو ملك أَو غير ذَلِك"، وفي هذا التعريف يبرز الإمام الذهبي المظاهر المتعددة للشرك بين مختلف أجناس البشر(١٧).

وعرفه السعدي – رحمه الله –: (هو أن يجعل لله نداً يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه، أو يرجوه، أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعاً من أنواع العبادة" (١٨)

وعرفه الشوكاني – رحمه الله – : بقوله (إن الشرك هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختص به، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه، أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه)(١٩).

وهذا المعنى الذي أشار إليه الإمام الشوكاني – رحمه الله – هو من أكبر دروب الشرك وقد اتفق مع الإمام المراغي في هذا الأمر.

قال الأصفهاني : معنى أن يشرك به: أن يديم الإنسان الشرك، فلا خلاف أن من لم يُدم ذلك بل أقلع عنه بالتوبة على الوجه الذي يجب يُغفر له. لكن اختُلِف في قوله (لِمَنْ يَشَاءُ) لكونه مجملًا.

فقال بعضهم: عنى به غير المشركين، فكأنه قيل: يغفر ما دون ذلك لغير المشركين، ففيه توعُّد أن المشرك مأخوذ بكل ذنب مع الشرك بخلاف المؤمنين، الذين قال لهم: (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ)(٢٠).

ومنهم من قال: عنى به التائب بدلالة قوله تعالى: (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)(٢١).

وقول من قال: (لِمَنْ يَشَاءُ) يقتضي ذلك، أن فيما دون الكفر ما يُغفر، وهو الصغائر، وفيه ما لا يغفر وهو الكبائر، وإلا لم يكن لقوله: (لِمَنْ يَشَاءُ) فائدة، فليس بصحيح لأن قوله: (مَا دُونَ ذَلِكَ) عام للذنوب صغائرها وكبائرها، والمغفور له هو الذي جعله خاصًّا منهما، فيقتضي أن ما دون الشرك كله يُغفر.

لكن يُغفر لبعض دون بعض، واشتراط (لِمَنْ يَشَاءُ) لئلا يقرر أن ذلك عامٌّ للمشرك وغير المشرك، فصار قوله: (لِمَنْ يَشَاءُ) عبارة عن غير المشركين.(٢٢)

وهنا يذكر الأصفهاني رأياً جديداً مخالفًا لرأي الإمام المراغى في أن الشرك لا يغفر ويشترط الإصفهاني رحمه الله شرط دوام الشرك أما إذا كان غير دائم فإن الله يتوب على من تاب.

ومن المعاني التي جاءت في الشرك أيضًا أنه(٢٣): جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته. والغالب الإشراك في الألوهية بأن يدعو مع الله غيره، أو يصرف له شيئا من أنواع العبادة: كالذبح والنذر والخوف والرجاء والمحبة. والشرك أعظم الذنوب، وذلك لأمور:

١ – لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية – فمن أشرك مع الله أحدا فقد شبهه به. وهذا أعظم الظلم، قال تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}(٢٤) والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه. فمن عبد غير الله فقد وضع العبادة في غير موضعها، وصرفها لغير مستحقها، وذلك أعظم الظلم.

ويؤيد هذا القول ما ذكره الإمام المراغي عند تفسير هذه الآية حيث قال: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}(٢٥) معناها أنه ظلمًا وعظيمًا أيضًا، أما كونه ظلمًا، فلما فيه من وضع الشيء في غير موضعه ، وأما أنه عظيم ، فلما فيه من التسوية بين من لا نعمة إلا منه، وهو سبحانه وتعالى، ومن لا نعمة لها وهي الأصنام والأوثان.(٢٦)

٢ – إنَ الله أخبر أنه لا يغفر لمن لم يتب منه – قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}(٢٧).

بين الإمام المراغي عند تفسيره لهذه الآية "أن الشرك هو منتهى فساد الأرواح وضلال العقول، فكل خير يلابسه لا يقوى على إضعاف مفاسده وآثامه والعروج بها إلى جوار ربها، إذ أنها تكون موزعة بين شركاء يحولون بينها وبين الخلوص إليه عز وجل، والله لا يقبل إلا ما كان خالصا له(٢٨).

٣- إن الله أخبر أنه حرم الجنة على المشرك، وأنه خالد مخلد في نار جهنم – قال تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}(٢٩).

وهنا يذكر الإمام المراغي:" إن كل من يشرك بالله شيئا من ملك أو بشر أو كوكب أو حجر أو نحو ذلك فيجعله ندّا له أو متحدا به، أو يدعوه لجلب نفع أو دفع ضرر، أو يزعم أنه يقرّ به إليه زلفى فيتخذه شفيعا ليؤثر فى إرادته تعالى وعلمه، ويحمله على شىء غير ما سبق به علمه وخصصته إرادته فى الأزل- من يفعل ذلك فإن الله قد حرم عليه الجنة فى سابق علمه، وبمقتضى شرعه الذي أوحاه إلى جميع رسله، فلا مأوى له إلا النار".(٣٠)

٤ - إن الشرك يحبط جميع الأعمال - قال تعالى: {وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}(٣١)، أضاف الإمام المراغي في معنى هذه الآية فقال: " أي ولو أشرك أولئك المهديون بربهم فعبدوا معه غيره لبطل أجر أعمالهم التي يعملونها، إذ توحيد الله تعالى هو المزكّى للأنفس، فضده وهو الشرك منتهى النقص والفساد المدسّى لها والمفسد لفطرتها، فلا يبقى معه فائدة لعمل آخر يترتب عليه نجاتها وفلاحها به"(٣٢).

وقال تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(٣٣).

يؤكد الإمام المراغي على هذا المعنى فيقول: " ولقد نزل عليك الوحى من ربك بأنه إذا حصل منك إشراك به بعبادة صنم أو وثن ليبطلنّ كل عمل لك من أعمال الخير كصلة رحم وبرّ ببائس فقير ولا تنالنّ به ثوابا ولا جزاء ولتكونن ممن خسروا حظوظهم في الدنيا والآخرة، وأوحى إلى الرسل من قبلك بمثل هذا.

فاحذر أن تشرك بالله شيئا فتهلك، وهذا كلام سيق على سبيل الفرض والتقدير، لتهييج المخاطب المعصوم، وللايذان بشناعة الإشراك وقبحه، حتى لينهى عنه من لا يكاد يفعله فكيف بغيره؟ والحكم بحبوط عمل المشرك في الآخرة مقيّد بما إذا مات وهو كذلك بدليل قوله في الآية الأخرى: «وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كافِرٌ فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ»(٣٤).(٣٥)

٥ - إن المشرك حلال الدم والمال - قال تعالى: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ}(٣٦) ، وفي هذه الآية يشير الإمام المراغي إلى مجموعة من الأمور نجملها فيما يلي:

(١) قتلهم فى أي مكان وجدوا فيه من حلّ وحرم.

(٢) أخذهم أسارى، وقد أبيح هنا الأسر الذي حظر فى سورة الأنفال بقوله:
«ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ» لأن الإثخان وهو الغلب والقوة والسيادة قد وجد.

(٣) حصرهم وحبسهم حيث يعتصمون بمعقل أو حصن، بأن يحاط بهم ويمنعوا من الخروج والانفلات حتى يسلموا وينزلوا على حكمهم بشرط ترضونه أو بدون شرط.

(٤) القعود لهم كل مرصد: أي مراقبتهم فى كل مكان يمكن الإشراف عليهم فيه، ورؤية تجوالهم وتقلّبهم فى البلاد.

وهذه الآية تسمى آية السيف، إذ جاء الأمر فيها بالقتال وقد كان مؤجّلا ومنسيا إلى أن يقوى المسلمون، وكان الواجب عليهم فى حال الضعف الصبر على الأذى[٣٧].

وفي السنة عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)[٣٨].

٦ – إن الشرك أكبر الكبائر – قال صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: " الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ" [٣٩].

قال العلامة ابن القيم: أخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر أن يعرف بأسمائه وصفاته، ويعبده وحده لا يشرك به. وأن يقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، كما قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}[٤٠].

واستدل الإمام المراغي في تفسيره لهذه الآية على أن الشرك من الكبائر وأُمر النبي – صلى الله عليه وسلم– بمجاهدة المشركين واستدل بقول النبي –صلى الله عليه وسلم– روى أحمد وأبو داود عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقى تحت ظل رمحى، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى، ومن تشبه بقوم فهو منهم».[٤١]

فأخبر سبحانه أنه أرسل رسله، وأنزل كتبه، ليقوم الناس بالقسط وهو العدل – ومن أعظم القسط التوحيد، وهو رأس العدل وقوامه. وأن الشرك ظلم، كما قال تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}[٤٢] فالشرك أظلم الظلم. والتوحيد أعدل العدل. فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو

أكبر الكبائر – إلى أن قال: فلما كان الشرك منافيا بالذات لهذا المقصود كان أكبر الكبائر على الإطلاق، وحرم الله الجنة على كل مشرك، وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد، وأن يتخذوهم عبيدا لهم لما تركوا القيام بعبوديته. وأبى الله سبحانه أن يقبل لمشرك عملا. أو يقبل فيه شفاعة. أو يجيب له في الآخرة دعوة. أو يقبل له فيها رجاء. فإن المشرك أجهل الجاهلين بالله. حيث جعل له من خلقه ندّا. وذلك غاية الجهل به – كما أنه غاية الظلم منه – وإن كان المشرك في الواقع لم يظلم ربه، وإنما ظلم نفسه – انتهى(٤٣).

٧ – إن الشرك تنقّص وعيب نزه الرب سبحانه نفسه عنهما – فمن أشرك بالله فقد أثبت لله ما نزه نفسه عنه، وهذا غاية المحادّة لله تعالى، وغاية المعاندة والمشاقة لله.

المطلب الثاني

أنواع الشرك

للشرك أنواع كثيرة ومتعددة قد ذكرها العلماء في مواضع كثيرة في القرآن والسنة، ومن أهم هذه الأنواع ما ذكره الإمام المراغي –رحمه الله– في تفسير قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) [٤٤]، فالشرك بالله ضربان:

١) شرك فى الألوهية، وهو الشعور بسلطة وراء الأسباب والسنن الكونية لغير الله تعالى.

٢) شرك فى الربوبية، وهو الأخذ بشىء من أحكام الدين بالتحليل والتحريم عن بعض البشر دون الوحى، وهذا ما أشار إليه الكتاب الكريم بقوله ﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾[٤٥] وقد فسر النبي – صلى الله عليه وسلم– اتخاذهم أربابًا بطاعتهم واتباعهم فى أحكام الحلال والحرام.

وقد سرى الشرك فى الألوهية والربوبية إلى بعض المسلمين منذ قرون كثيرة.

وفى الآية إيماء إلى تسمية أهل الكتاب بالمشركين، وكأنه يقول لهم: لا يغرّنكم انتماؤكم إلى الكتب والأنبياء، وقد هدمتم أساس الدين بالشرك الذي لا يغفره الله بحال[٤٦].

وهنا يؤكد الإمام المراغي –رحمه الله – ويستدل على إظهار أنواع الشرك سواء أكان الشرك في الألوهية، أو الشرك في الربوبية ، وقد استدل بما ورد في القرآن الكريم وبما أثر عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في بيان هذان النوعان من الشرك.

وفي موضع أخر يشير الإمام –رحمه الله– إلى الشرك الخفي الذي انتشر بين افراد المجتمع المسلم حيث يقول –رحمه الله– : "والإشراك ضروب مختلفة:

منها ما ذكره سبحانه عن مشركى العرب من عبادة الأصنام باتخاذهم أولياء وشفعاء عند الله يقربون المتوسل بهم إليه ويقضون الحاجات عنده، وقد جاء ذكر هذا فى آيات كثيرة كقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِما لا يَعْلَمُ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٤٧].

ومنها ما ذكره عن النصارى من أنهم عبدوا المسيح عليه السلام، قال تعالى:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٤٨].

وأقوى أنواعه ما سماه الله دعاء واستشفاعا، وهو التوسل بغيره له وتوسيطه بينه وبين الله، ولا ينفع مع هذا صلاة ولا صوم ولا أي عبادة أخرى، وقد فشا هذا النوع بين المسلمين فتراهم يستشفعون بالموتى.

ويعتذر بعض الناس لمثل هؤلاء، وغاية ما تصل إليه المعذرة أن يحولوهم من شرك جليّ واضح إلى شرك أقل منه وضوحا، ولكنه شرك على كل حال.[٤٩]

وأضاف الإمام –رحمه الله– أن الرسل قد جاءوا لكي يؤكدوا على وحدانية الله وعدم الإشراك به ، حيث أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بالشهادة له بالوحدانية وبالبراءة من قولهم وشهادتهم بالشرك فقال: (أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ)[٥٠] بدأ الجملة بالاستفهام الدال على الإنكار والاستبعاد لما تضمنته، ثم أمر نبيه أن يجيب بأنه لا يشهد كما يشهدون، ثم أمره بأمر آخر: بأن يشهد بنقيض ما يزعمون ويتبرأ مما يزعمون، فيصرح بأن الإله لا يكون إلا واحدا، ويتبرأ مما يشركون به من الأصنام والأوثان وغيرهما.

وذكر –رحمه الله– الأنواع المختلفة والمتعددة من أنواع الشرك ومظاهره المختلفة والمنتشرة بين البشر حيث قال : "وقد بدأها بأكبر المحرمات وأعظمها وأشدها إفسادا للعقل والفطرة، وهو الشرك بالله، سواء أكان باتخاذ الأنداد له أو الشفعاء المؤثّرين فى إرادته، أو بما يذكّر بهم من صور وتماثيل وأصنام وقبور، أو باتخاذ الأرباب الذين يتحكمون فى التشريع فيحللون ويحرمون فقال: (أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً)[٥١] أي ومما أتلوه عليكم فى بيان هذه المحرمات وما يقابلها من الواجبات– ألا تشركوا بالله شيئا من الأشياء وإن عظمت فى الخلق كالشمس والقمر والكواكب، أو فى القدر كالملائكة والنبيين والصالحين، فإن عظمتها لا تخرجها عن كونها مخلوقة لله، مسخّرة له بقدرته وإرادته: «إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً»[٥٢].

ويلزم هذا أن تعبدوه وحده بما شرعه لكم على لسان رسوله لا بأهوائكم ولا بأهواء أحد من الخلق أمثالكم.[٥٣]"

والمتدبر في تفسير الإمام المراغي – رحمه الله– يجد أنواع كثير من أنواع الشرك قد أشار إليها ونفصلها فيما يلى:

أولاً– الشرك الأكبر: هو أن يجعل لله ندًا يعبده كعبادته ويطيعه كطاعته؛ فالمراد به هنا

الشرك بمعناه الخاص، وهو النوع الذي يوجب الخلود في النار، والخروج عن ملة الإسلام.

ومن أنواعه والعياذ بالله:

١- شرك الدعاء: وهو دعاء غير الله من الأنبياء والأولياء، لطلب رزق أو شفاء مرض أو غير ذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(٥٤) أي ولا تدع أيها الرسول غيره تعالى دعاء عبادة لا على سبيل الاستقلال ولا على سبيل الاشتراك بوساطة الشفعاء- مالا ينفعك فى الدنيا ولا فى الآخرة، ولا يضرك إن تركت دعاءه ولا إن دعوت غيره.

(فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ) أي فإن فعلت هذا ودعوت غيره كنت فى هذه الحال من الذين ظلموا أنفسهم، ولا ظلم لها أكبر من الشرك بالله تعالى، فدعاؤه وحده أعظم العبادات، ودعاء غيره شرك وظلم للنفس، لإضافة التصرف إلى مالا يصدر منه، فهو وضع للشىء فى غير موضعه(٥٥).

٢- شرك النية وإرادة القصد: هو أن ينوي ويريد ويقصد العبد بعمله جملةً وتفصيلاً غير الله، وهو شرك في الاعتقاد؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ١٥ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ١٦﴾ (٥٦).

ويقول -رحمه الله- في تفسيره لهاتين الآيتين إن جزاء الأعمال فى الدنيا منوط بأمرين: كسب الإنسان، وقضاء الله وقدره به، وأما جزاء الآخرة فهو بفعل الله تعالى بلا وساطة أحد. «وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً»(٥٧).

وفى قوله تعالى:(أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها وَباطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ)(٥٨) أي هؤلاء الذين لا همّ لهم إلا الدنيا وزينتها، ليس لهم فى الآخرة إلا النار، لأن الجزاء فيها على الأعمال كالجزاء فى الدنيا، وهم لم يعملوا للآخرة شيئا، فإن العمل لها يكون بتزكية النفس بالإيمان وعمل الفضائل- وبالتقوى باجتناب المعاصي والرذائل، وما صنعوه فيها مما ظاهره البر والإحسان كالصدقة وصلة الرحم ونحو ذلك لم يكن تزكية لأنفسهم تقرّبهم إلى ربهم، بل كان لأغراض نفسية من شهواتها كالرياء والسمعة والاعتزاز بذوي القرابة على الأعداء ولو بالباطل، فلا أجر له فيها وقد انقطع أثره الدنيوي(٥٩).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له. وقل من ينجو منه. فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئا من غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته – والإخلاص أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته. وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام. كما قال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(٦٠) وهي ملة إبراهيم عليه السلام التي من رغب عنها فهو من السفهاء (٦١).

٣- شرك المحبة: وذلك بأن يحب مع الله غيره كمحبته لله أو أشد أو أقل. ولأن المحبة مستلزمة لغاية الذل والخضوع؛ كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾(٦٢).

ويقول الإمام -رحمه الله- في تفسير هذه الآية :" أي ومن الناس من يتخذ من دون ذلك الإله الواحد الذي ذكرت أوصافه الجليلة أندادا وأمثالا وهم رؤساؤهم الذين يتبعونهم فيما يأتون وما يذرون، يحبونهم كحب الله ويسوّون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم، ويتقربون إليهم كما يتقربون إليه، إذ هم لا يرجون من الله شيئا إلا وقد جعلوا لأندادهم ضربا من التوسط الغيبى فيه، فهم مشركون بهذا الحب الذي لا يصدر من مؤمن موحّد"(٦٣).

٤- شرك الطاعة: هو مساواة غير الله بالله في تشريع الحكم، إذ الحكم هو حق من حقوقه تعالى، فلا أمر ولا نهي إلا لله وحده، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾(٦٤) وأشار إلى ذلك بقوله: ﴿أَلَا لَهُ﴾ وعليه فلا يجوز نسبته لغيره، ومن نسبه لغيره كان مشركًا بالله الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام.

وفسرها -رحمه الله- بقوله أي ألا إن لله الخلق، فهو الخالق المالك لذوات المخلوقات وله فيها الأمر أي التصرف والتدبير، إذ هو المالك لها لا شريك له فى ملكه(٦٥).

٥- شرك الخوف: هو الاعتقاد بأن غير الله تعالى يضر وينفع، أو التسوية بين الله تعالى وغيره في الخشية، كالخوف من تصرف بعض الأموات في الأحياء، أو خوف عملي يؤدي إلى ترك الواجبات. أما الخوف الطبيعي: كالخوف من الحيوان المفترس والظالم وغيرها فجائز شرعًا. وقد وصف الله نبيه موسى عليه السلام بالخوف فقال: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾(٦٦).

وعكس هذا الخوف: هو خوف الواجب، وهو الخوف من الله غاية الخوف ومنتهاه.

٦- شرك التوكل: والتوكل هو تفويض الأمر إلى الله والاعتماد عليه في تحصيل المطالب.

يقول الإمام المراغي في تعريف التوكل: إظهار العجز والاعتماد على غيرك والاكتفاء به في فعل ما تحتاج إليه.[٦٧]

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾،[٦٨] بهذا لا يجوز أن يكون التوكل على غير الله. ومن التوكل الشركي: الاعتماد بالقلب على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو الاعتقاد بأن المخلوق يمكن له أن يرزق المخلوق، أو أن يمنع عنه الرزق.

ويقول المراغي –رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "أي وتوكل على ربك الدائم الباقي رب كل شيء ومليكه، واجعله ملجأك وذخرك، وفوّض إليه أمرك، واستسلم له، واصبر على ما نابك فيه، فإنه كافيك وناصرك ومبلغك ما تريد، ونزّهه عما يقوله هؤلاء المشركون من الصاحبة والولد، فهو الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد، كما تتزهه عن الأنداد والشركاء من الأصنام والأوثان فهو لا كفء له ولا ند: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[٦٩].

وهنا يثبت الإمام رحمه الله على أن التوكل بمعنى التنزيه لله سبحانه وتعالى عما سواه من الشركاء والأنداد.

قال القرطبي: التوكل هو الاعتماد على الله مع إظهار العجز والاسم التكلان.[٧٠]

ثانيًا- الشرك الأصغر: وهو لا يخرج صاحبه من الملة، ولا ينافي أصل التوحيد ولكنه ينافي كماله. والشرك الأصغر هو: كل وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهو من أكبر الكبائر، وله أنواع كثيرة، ويمكن حصرها بحسب محلها فيما يلي:

* قوليّ: وهو ما كان باللسان: كالحلف بغير الله.

* فعليّ: كالتطير: وهو امتناع المسلم عن فعل شيء بسبب التشاؤم من شيء كان قد رآه أو سمعه؛ كالتشاؤم من بعض الحيوانات أو الطيور أو الأيام.

وفي هذا الموضع يقول –رحمه الله- في تفسير قوله تعالى :﴿قالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ﴾[٧١] أي قالوا إنا تشاءمنا من تبليغكم ودعوتكم، فقد افتتن بعض القوم بكم، وتفرقت كلمتنا وانفرط عقد وحدتنا، ولئن لم تنتهوا عن بثّ هذه الدعوة بيننا لنرجمنكم بالحجارة رجما، ولنمثلن بكم شر التمثيل أو لنعذبنكم عذابا شديدا وأنتم أحياء.

والخلاصة- إنا إما أن نقتلكم أو نلقيكم في غيابات السجون وننكل بكم تنكيلا عظيما.
حينئذ أجابهم الرسل: ﴿قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾(٧٢) أي قالوا لهم سبب شؤمكم من أفعالكم لا من قبلنا كما تزعمون، فأنتم أشركتم بالله سواه، وأولعتم بالمعاصي واجترحتم السيئات، أما نحن فلا شؤم من قبلنا، فإنا لا ندعو إلا إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له والإنابة إليه، وفي ذلك منتهى اليمن والبركة(٧٣).

* قلبيّ: كالرياء والسمعة وإرادة الدنيا ببعض الأعمال.

عرف الإمام المراغي الرياء بقوله: المراءاة: من الرؤية ، وهي أن يكون من يرائيك بحيث تراه كما يراك، فالمرائي يريهم عمله وهم يُرُونه استحسان ذلك العمل، القول عند تفسير قوله -تعالى- " يُرَاءُونَ النَّاسَ".(٧٤)

والرياء أربعة أنواع:

١- أن يكون قصده بالعمل هو الجزاء عليه في الدنيا، وليس طلب الآخرة؛ فهذا يعطى نصيبه في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب، وهذا الشرك الأكبر.

٢- أن يقصد بعمله الناس؛ فهذا من الرياء بالأعمال والسمعة بالأقوال، وهو شرك أصغر.

٣- أن يقصد بالعمل الصالح المال، كأن يحج لمال يأخذه، أو لزوجة يريدها، أو يجاهد من أجل الغنيمة، أو يتعلم من أجل المنصب.

٤- أن يكون العمل الصالح مخلصًا لله فيه، لكنه قد وقع في إفساده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(٧٥) فهذا لا ينفعه عمله في الآخرة. فسبب فساد الأعمال هو وجود الكفر والشرك اللذان يضدان الإيمان والتوحيد، فلا إيمان ولا توحيد إلا بعمل خالص موافق لما جاء به الرسولﷺ.

ويذكر الإمام المراغي -رحمه الله- عند تعرضه لقضية الرياء وهو من أنواع الشرك الأصغر حيث قال -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى (الَّذِينَ هُمْ يُراؤُنَ)(٧٦)، أي إنهم يفعلون أفعالا ظاهرة بقدر ما يرى الناس، دون أن تستشعر قلوبهم بها، أو تصل إلى معرفة حكمها وأسرارها(٧٧).

وهنا لم يتعرض الإمام المراغي لأنواع الشرك الأصغر بطريقه ظاهرة وإنما استدل عليها من خلال كلامه عن مجمل هذه القضايا.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له. وقل من ينجو منه. فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئا من غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته – والإخلاص أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته. وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام. كما قال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[٧٨] وهي ملة إبراهيم عليه السلام التي من رغب عنها فهو من السفهاء انتهى[٧٩].

يتخلص مما مر أن هناك فروقا بين الشرك الأكبر والأصغر، وهي:

١ – الشرك الأكبر يخرج من الملة – والشرك الأصغر لا يخرج من الملة.

٢ – الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار – والشرك الأصغر لا يخلد صاحبه فيها إن دخلها.

٣ – الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال – والشرك الأصغر لا يحبط جميع الأعمال، وإنما يحبط الرياءُ والعملُ لأجل الدنيا العملَ الذي خالطاه فقط.

٤ – الشرك الأكبر يبيح الدم والمال – والشرك الأصغر لا يبيحهما.

ومن أنواع الشرك الذي أشار إليها القرآن هي عبادة الطاغوت:

الطاغوت الذي يجب الكفر به حتى يتحقق الإيمان ولقد ورد ذكر الطاغوت في القرآن ثماني مرات هي:

١– قال تعالى: "فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ"[٨٠]، قال –رحمه الله– عند تفسير هذه الآية: أي فمن يكفر بما تكون عبادته والإيمان به سببا في الطغيان والخروج عن الحق من عبادة مخلوق، إنسانًا كان أو شيطانًا أو وثنًا أو صنمًا[٨١].

٢– قال تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ) [٨٢]، قال –رحمه الله– عند تفسير هذه الآية: أي والكافرون لا سلطان على نفوسهم إلا لتلك المعبودات الباطلة التي تسوقهم إلى الطغيان.[٨٣]

٣– قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ)[٨٤] ، قال –رحمه الله– عند تفسير هذه الآية: أي ألم تنظر إلى حال هؤلاء الذين أوتوا نصيبا من الكتاب، كيف حرموا هدايته وهداية العقل والفطرة، وآمنوا بالدجل والخرافات، وصدقوا بالأصنام والأوثان، ونصروا أهلها من المشركين على المؤمنين المصدقين بنبوة أنبيائهم والمعترفين بحقية كتبهم؟[٨٥]

٤- قال تعالى: (يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ)(٨٦) ، قال -رحمه الله- عند تفسير هذه الآية: فهؤلاء المنافقون إذ هربوا من التحاكم إليك وقبلوا التحاكم إلى مصدر الطغيان والضلال من أولئك الكهنة والمشعوذين.(٨٧)

٥- قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)(٨٨) ، قال -رحمه الله- عند تفسير هذه الآية: والطاغوت: من الطغيان، وهو مجاوزة الحق والعدل والخير إلى الباطل والظلم والشر.(٨٩)

٦- قال تعالى: (وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ)(٩٠) ، قال -رحمه الله- عند تفسير هذه الآية: ذلك هو التذكير بسوء حال آبائهم مع أنبيائهم وما كان من جزاء الله لهم على فسقهم وتمردهم بأشد ما جازى به الفاسقين الذين ظلموا أنفسهم- من اللعن والغضب والمسخ وعبادة الطاغوت.(٩١)

٧- قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)(٩٢) ، قال -رحمه الله- عند تفسير هذه الآية: بعثنا فيكم رسولا، فقال لهم: اعبدوا الله وحده لا شريك له، واحذروا أن يغويكم الشيطان ويصدكم عن سبيل الله فتضلوا.(٩٣)

٨- قال تعالى: (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ)(٩٤) ، قال -رحمه الله- عند تفسير هذه الآية: الطاغوت: الشيطان، ويطلق على الواحد والجمع، وسميت عبادة الأوثان عبادة للشيطان، إذ كان الآمر بها، والمزيّن لها.(٩٥)

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: "فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ"(٩٦)، أَيْ مَنْ خَلَعَ الْأَنْدَادَ وَالْأَوْثَانَ، وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ مِنْ عِبَادَةِ كُلِّ مَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللَّهِ، وَوَحَّدَ اللَّهَ فَعَبَدَهُ وحده.(٩٧)

يقول الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن: الطاغوت عبارة عن كل متعدّ وكل معبود من دون الله ويستعمل في الواحد والجمع، ولما تقدّم سمّي السّاحر، والكاهن، والمارد من الجنّ، والصارف عن طريق الخير طاغوتا.(٩٨)

ولو تتبعنا تفسير هذه الآيات في مواضعها ما رأيناها تخرج عن ذلك، جاء في تفسير الجلالين في الآية الأولى والثانية أن الطاغوت هو الأصنام والشيطان(٩٩)، وفي الآية الثالثة أن الجبت والطاغوت صنما لقريش(١٠٠)، وفي الآية الربعة أن الطاغوت كثير الطغيان وهو كعب ابن

الاشرف[١٠١] ، وفي الخامسة أنه الشيطان[١٠٢]، وفي السادسة كذلك[١٠٣]، وفي السابعة أنه الأوثان[١٠٤]، وفي الثامنة أنه الأوثان أيضًا[١٠٥].

وهو يطلق على الباطل مطلق ممن يعقل وما لا يعقل ، فإذا عُبد من دون الله أو مع الله فذلك كفر أو شرك ، وإذا فتن به دون عبادة له كان عصياناً وفسوقًا ، كالذي يفتنه الشيطان أو السلطان أو المال[١٠٦].

وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– " تعِس عبدُ الدينارِ ، تعِس عبدُ الدرهمِ ، تعس عبدُ الخميصةِ ، تعس عبدُ الخميلةِ ، تعِس وانتكَس وإذا شيكَ فلا انتقشَ".[١٠٧]

التعقيب:

بعد عرض قول الإمام المراغي في معنى الطاغوت وهو من أنواع الشرك بالله، وعرض أقوال الأئمة في هذا الأمر نجد أن الإمام المراغي قد اتفق في المجمل مع الأئمة حيث أن للطاغوت مفاهيم كثيرة ومتعددة ومن هذه المفاهيم:

١- أنه بمعنى الشيطان.

٢- بمعنى الأوثان والأصنام.

٣- بمعنى الإشراك بالله.

٤- بمعنى كل ما يُعبد من دون الله.[١٠٨]

---

(١) **لقمان/ ١٣.**

(٢) **الأعراف من الآية ٣٣.**

(٣) **النحل من الآية ١٠٠.**

(٤) **لسان العرب- المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين أبو الفضل- الناشر: دار صادر – بيروت ١٠/٦**

(٥) **المصباح المنير: ١-٣١١**

(٦) **طه الآية ٣٢**

(٧) **المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ(- المحقق: صفوان عدنان الداودي – الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت – ط١ ١٤١٢هـ – ص ٤٥٢.**

(٨) **النساء من الآية ٣٦.**

(٩) **تفسير المراغي ٣٤/٥.**

(١٠) **النساء من الآية ٤٨.**

(١١) **تفسير المراغي ٥ / ٥٨.**

(١٢) **تفسير المراغي ٥ / ١٥٧، ١٥٨.**

(١٣) **البقرة/ ٢٢**

(١٤) **إبراهيم/ ٣٠**

(١٥) **الشعراء: ٩٧ – ٩٨**

(١٦) **مدارج السالكين (ت. البغدادي) – لابن قيم الجوزية – تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي- – دار الكتاب العربي – ط٧ ٢٠٠٣.- ٣٤٨/١.**

(١٧) الكبائر: محمد بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن عثمان الذهبي –دار الندوة الجديدة – بدون تاريخ – ص٩.

(١٨) القول السديد شرح كتاب التوحيد: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المحقق: صبري بن سلامة شاهين– دار الثبات – ص٣١.

(١٩) الدر النضيد في إخلاص علم التوحيد: محمد بن على الشوكاني – علق عليه وخرج أحاديثه :أبو عبد الله الحلبي – طبعة مكتبة الصحابة الإسلامية – ص٣٤.

(٢٠) النساء من الآية ٣١.

(٢١) الأعراف ٥٦.

(٢٢) تفسير الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) – تحقيق ودراسة :د. عادل بن علي الشِّدِي – دار الوطن – الرياض الطبعة الأولى :١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م – ١٢٦٦/٣

(٢٣) كتاب التوحيد: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان – وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية – الطبعة :الرابعة، ١٤٢٣هـ – ١٠/١

(٢٤) لقمان: ١٣

(٢٥) لقمان: ١٣

(٢٦) تفسير المراغي ٢٤/٧.

(٢٧) النساء: ٤٨

(٢٨) تفسير المراغي ٥/ ١٥٧.

(٢٩) المائدة: ٧٢

(٣٠) تفسير المراغي ١٦٦/٦.

(٣١) الأنعام: ٨٨

(٣٢) تفسير المراغي ١٨٣/٧

(٣٣) الزمر: ٦٥

(٣٤) البقرة : ٢١٧.

(٣٥) تفسير المراغي ٣٠/٢٤.

(٣٦) التوبة: ٥

(٣٧) تفسير المراغي ٥٨/١٠.

(٣٨) أخرجه مسلم حديث (٢٢)، وأخرجه البخاري في" كتاب الإيمان" "فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم" حديث (٢٥).

(٣٩) رواه البخارى برقم ٥٥٤٦.

(٤٠) الحديد: ٢٥

(٤١) تفسير المراغي ٢٧/ ١٨٣.

(٤٢) لقمان: ١٣

(٤٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)- دار المعرفة – المغرب – الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م – ص١١٤.

(٤٤) النساء: ٤٨

(٤٥) التوبة من الآية ٣١.

(٤٦) تفسير المراغي ٥ /٥٨.

(٤٧) يونس /١٨.

(٤٨) التوبة /٣١.

(٤٩) تفسير المراغي ٥/٣٤

(٥٠) الأنعام /١٩.

(٥١) الانعام /١٥١.

(٥٢) مريم من الآية ٩٣.

(٥٣) تفسير المراغي ٨/٦٦.

(٥٤) يونس / ١٠٦.

(٥٥) تفسير المراغي ١١/ ١٦٣.

(٥٦) هود: ١٥، ١٦

(٥٧) الكهف من الآية ٤٩.

(٥٨) هود/١٦.

(٥٩) تفسير المراغي ١٢/١٦.

(٦٠) آل عمران: ٨٥

(٦١) الداء والدواء (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي): محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية أبو عبد الله – المحقق: محمد أجمل الإصلاحي – زائد بن أحمد النشيري- مجمع الفقه الإسلامي بجدة – ١٤٢٩هـ – ص١١٥

(٦٢) البقرة: ١٦٥

(٦٣) تفسير المراغي ٢/٣٨.

(٦٤) الأعراف: ٥٤

(٦٥) تفسير المراغي ٨/١٧٤.

(٦٦) القصص: ٢١

(٦٧) تفسير المراغي ٤/٦٤ز

(٦٨) الفرقان: ٥٨

(٦٩) تفسير المراغي ١٩/٣٠.

(٧٠) تفسير القرطبي ٣-٤/١٩٣.

(٧١) يس/ ١٨

(٧٢) يس من الآية ١٩.

(٧٣) تفسير المراغي ١٥٢/٢٢.

(٧٤) تفسير المراغي ٢٣١/٥.

(٧٥) المائدة: ٢٧

(٧٦) الماعون /٦

(٧٧) تفسير المراغي ٢٥٠/٣٠.

(٧٨) آل عمران: ٨٥

(٧٩) الجواب الكافي ص ١١٥.

(٨٠) البقرة من الآية ٢٥٦.

(٨١) تفسير المراغي ١٧/٣.

(٨٢) البقرة من الآية ٢٥٧.

(٨٣) تفسير المراغي ١٩/٣.

(٨٤) النساء من الآية ٥١.

(٨٥) تفسير المراغي ٦٣/٥.

(٨٦) النساء من الآية ٦٠.

(٨٧) تفسير المراغي ٧٥/٥.

(٨٨) النساء الآية ٦٧.

(٨٩) تفسير المراغي ٩٠/٥.

(٩٠) المائدة من الآية ٦٠.

(٩١) تفسير المراغي ١٤٨/٦.

(٩٢) النحل من الآية ٣٦

(٩٣) تفسير المراغي ٨٠/١٤.

(٩٤) الزمر الآية ١٧.

(٩٥) تفسير المراغي ١٥٦/٢٣.

(٩٦) البقرة من الآية ٢٥٦.

(٩٧) تفسير القرآن الكريم: الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء – دار النشر والتوزيع: نوبليس انترناشونال، ط١، ٢٥٦/٤.

(٩٨) المفردات في غريب القرآن : للأصفهاني ، ١/ ٥٢١.

(٩٩) تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) – ط ١، ٢٠٠٣، دار النوبار للطباعة – القاهرة ، صـ ٤٢.

(١٠٠) تفسير الجلالين صـ ٨٥

(١٠١) تفسير الجلالين صـ ٨٨

(١٠٢) تفسير الجلالين صـ ٩٠

(١٠٣) تفسير الجلالين صـ ١١٨

(١٠٤) تفسير الجلالين صـ ٢٧١

(١٠٥) تفسير الجلالين صـ ٤٦٠.

(١٠٦) بيان للناس: الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق، دار الفاروق صـ ٢٢٦.

(١٠٧) أخرجه البخاري (٢٨٨٧) باختلاف يسير

(١٠٨) وقد ذكر هذه الأنواع الشيخ جاد الحق على جاد الحق في كتاب بيان للناس.